الباب الثاني

ترجمة أبى القاسم الشابي (١٣٢٧-١٣٥٣هـ/ ١٩٠٩- ١٩٣٤م)

الفصل الأول: لمحة عن ترجمة أبي القاسم الشابي

١. ولادته:

خمسٌ وثَمانونَ سَنَة مَضت على ميلادِ الشاعِر العَبْقَرِيّ الفذّ، أبو القام الشابي. ولَكِن ذكرى ميلاده هذه تمتزج بسمات أفْراحها بملامحِ الكآبة، ودموع الحزن والأسِى. ذلك أن الشاعر قَدْ ماتَ، وهوَ بَعد شاب، لم يتجاوز ستا وعِشرين رَبيعا. فكان عُمره بيننا لحظاتٍ قصيرةً كأعْمارِ الأزْهارِ ما أن تشرأبُّ لِلْهَواءِ ولِلنُّورِ، حتى تمْتَد لما يد القدر، فتقتلعها وتخصر أيّامها، وهي بعد برعم لم يتفتح، وحياة تكتمل.

ورغم قصر السَنوات التي عاشها الشابي بيننا، فقد غنّى للإنسانية أروع الأغاني وأعذبها. وترك تراثنا يزداد مع الأيام قيمةً وارتفاعًا: حتى غدا به الشابي في مدى ربع قرن فقط، أعظم شاعر أنجبته الأمَّة العربية في عصرها الحديث.

لقد ولد الشابي عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) وقطع بعد ولادته مرحلتين في سير الزمان الأبدي؛ مرحلة ما يقارب القرن على ميلاده، ومرحلة قرون يبقى فيها حيًا من خلال إبداعه. أذًا، فنحن نستقبل اليوم الذكرى الخامسة والثمانين لميلاد الشابي في عالم الخلود. ذلك الخلود الذي كان الشابي يحترق شوقًا إليه، ويسعى جاهدًا يقلبه الطموح، وخياله الخصبٍ، وشعوره الملتهب، ليبغ سفح جبله المقدس: فإذا به يحلّق نسرًا جبارًا فوق قمته الشامخة؛ وإذا بالشابي روح سماوي يرفرف فوق كلّ الرؤوس، وآية خارقة في حياة البشر. [١٧] وإذ بميلاد الشاعر، يبني مجد أُمة ويصتع تاريخ شعب، ما

[١٧] كرو: أبو القاسم محمد: *دراسات عن الشابي*: ص: ١٣-١٤ .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

كان شيئًا مذكورًا في عالم الأدب اليوم؛ لولا أن هتف به من أعْماقِه في حرارةِ وإخلاصٍ، يدعوه للنهوض من نومه في أحضان الماضي وكهوف الظلام، ولقد اختلف المؤرّخون لحياة أبي القاسم الشابي حول يوم مولده، والشهر الذي وقع فيه ذلك اليوم؛ ولكنهم أجمعوا على أن مولده كان في سنة (١٩٠٩م) وفي شهر مارِس/ آذار. وكانت ولادته في بلدة (الشابية) وإليها نسبته، وفيها دفن.

فهو — إذًا — من أبناء العالم القدسي، الذي يرمي إليه الشاعر بأشواقه ومهجته، وهو بعيدٌ عنه منتهى البعد، وكأنه وراء هذه الحدود المادية وبعد هذا الكون المموه. ومنذ ولادته أحبَّ الحياة في صميمها، والذا كثرت ثورته على هذا الوجود المشوّه الذي لا يقدم للحيّ، الصورة الجميلة الكامِلَة التي ينشدها.

هناك قيم تتصل بالحياة المثالية، أراد لها منذ يوم مولده، أن تتحقق للفرد والجهاعة. فهو إذ يدعو الشعب إلى إرادة الحياة، لايدعو إلا (هذه الحياة) التى يعيشها الناس في يومهم هذا، وإنما يد عوه إلى مستقبل يجب عليه خلقه وانشاؤه. [١٨] ولقد رأينا تعميمًا للفائدة، أن ننهي الحديث عن ولا دته، ليقف القارىء على واقعها. بما ذكره الأستاذ عامر غديرة، في كتاب (دراسات عن الشابي) تحت عنوان (محاولة جعل إطار لترجمة الشابي) بنصه وحرفه (ونحن نعلم يقينًا أنه ولد سنة (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) غير أنّا نجد في مطالعاتنا، وفي محادثاتنا مع أولي الأمر، تناقضًا كبيرًا واختلافًا، ففكرنا في الرجوع إلى مصدر وثيق مثل الحالة المدنية، لنعلم بالتدقيق سنة الولادة والشهر واليوم، وحتى الساعة؛ فوجدنا أن الحالة المدنية لم تحدث بعد بمد ينة توزر عند ولادة أبي القاسم. فأعملن الرأي من جديد وطالعنا برخصة من عائلته دفتره الريتوني، فلم نعثر مع الأسف على تاريخ الولادة. ورجعنا إلى أخيه الأمين، وقد قدّم سنة (١٩٥٥)

---

[١٨] القليبي: الشاذلي: عن مجلة الندوة التونسية–العدد الخاص بالشابي–أكتوبر/ تشرين الأول سنة (١٩٥٣) ص: ٨-٩ .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

لأغاني الحياة فلم نره ذكر إلاّ السنة. أمّا الشاعر نفسه، فإنه رضي بتاريخ نشر في حياته، ولا أدري مامصدره وهو تاريخ ٣ صفر ١٣٢٧ (٢٤ فيفريي١٩٠٩) [١٩] ثم نحن تجاسرنا فألححنا في السؤال على أسرة الشاعر، فقيل لنا إنه قد يكونو ولد حوالي موالد في تلك السنة يوافق يوم ٣ إفريل ١٩٠٩ [٢٠] وعلى كل فلقد ولد أبو القاسم في ربيع توزر سنة (١٩٠٩) ما بين ٢٤ فيفريي و٣ إفريل.

٢. حياته:

إنَّ أبا القاسم الشابي بذاتها، تعبّر عن حبّه للحياة، وفتنتها؛ ولكن هذه النبرات برحيق الحياة سرعان ما تنكسر، فتتحول إلى كآبة وتبرّم، وإذا الشاعر يتساءل عن معنى الوجود، وينتبه إلى أنّ الجهال فيه، قد لايكون إلاّ مظهرًا خلابًا، وسحرًا مزورًا. [٢١] فهو يتغنّى مثلاً بجمال العذارى في قصيدة (الجمال المنشود) ثم فجأةً يتساءل: [٢٢]

مَا الَّذِي خَلَّفَ هذه الفِتْنَةَ الغَرَّ ... اءَ في ذلك القَرَارِ البَعيد

أَنْفوسٌ جميلةٌ كطيورِ الغابِ ... تَشْدُو بِمُسْتَرَقِ النَّشِيد

....ام ظَلامٌ كَأَنَّهُ قِطَعُ اللَّي ... بل وَهَوْلٌ يُشِيبُ رَأْسَ الوَليد

وهو إلى جانب ذلك: يجد في نفسه كراهية متأصّلة للحياة، تنبو عن زخرفها الكاذب؛ ويرى في روحه توقًا ينزع به إلى عالمٍ مثاليٍ حق. وإذا التقيٍ بالحياة في بعض آياتها الفاتنة، أعرض عن ذلك التشاؤم القاتم، وتغنى بها نشوة العاشق الولهن.

---

[١٩] الأدب التونسي، جمع السنوسي تونس ١٩٢٧ ص: ٢٠٢ .

[٢٠] كرو: أبو القاسم محمد-الشابي حياته وشعره، بيروت (١٩٥٢) يقول ص: ١٢٤ إنه ولد في شهر مارس. ويقول ابن شنب في المراجع المذكور انه سنة (١٩١٠) .

[٢١] كور: أبو لقاسم محمد: *دراسات عن الشابي*. ص: ٩ .

[٢٢] الشابي: أبو القاسم الحياة — ص: ١٠٩ .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والشيء الذي يلاحظ في شعر أبي القاسم عامة، هو رفضه للحياة البشرية على أنها مظلمة مزيفة، يصيب الإنسان فيها الشقاء والألم: واتجاهه بحياته الفنية إلى عالم الغيب يتلألأ نورًا وسعادة. وبذلك نرى أنه من البداية ارتقى بشعره إلى النغمات الكبرى الخالدة، ورجع به إلى المنهل الأول، وهو توق الإنسان إلى عالم الغيب، وتجاوزة نحو المطلق. هذا العالم القدسى الذي يرمي إليه الشاعر بأشواقه ومهجته، بعيد عنه في منتهى البعد، وكأنه وراء هذه الحدود المادية، وبعد هذا الكون المموّة. وهو يرمز إليه (بالنور) و(الصباح) [٢٣] وغير ذلك من الصور التي تعبّر عن شوقه إلى الفجر الأبدي يضيء ظلمان نفسه؛ وينقذه من حيرة الوجود. إلاّ أنه لم يقلع عن العالم الدنيوي الممقوت، ولم يستطع التخلص من ظلماته. ولذا كثرت في شعره الصور التي تمثله على طريقٍ موحشة (والفجر بعيد). فالوجود لا معنى له، ولا قيمة، لأن الغيب قد نغصه عليه ودخله من خلف: وحلَّ فيه كالليلة الدهماء وامتصّه: فتداعى لديه العالم بأسره كالجذع النخر، وبقي وحده يعالج هذا الحنين إلى (ما بعد) فرفض الشابي للوجود له مظهران متلازمان: الثورة على الواقع، والسعي نحو النور، أو طلب الصباح. وهذه الثورة على الواقع هي المحرّك العاطفي الأساسي لحياة الشاعر الباطنة، وهي التي تبعث مواقفه، وتوجه أذواقه. وهذه الثورة لا ترمي – من خلال شعره — إلى تغيير الحياة وانشائها من جديد، وإنما هي ثورة تهديمية، ناتجة عن يأس متغلغل في أعماق نفسه، وملل وسآمة، وارادة تحطيم وتقويض؛ هذه العناصر الثلاثة، هي ينابين قريحته. [٢٤]

٣. نشأته:

---

[٢٣] هذه الكلمات الموضوعة بين هلالين مأخوذة من قصائد الشابي، وترمز إلى التعابير للشار إليها.

[٢٤] كرو: أبو القاسم محمد: دراسات عن الشابي: ص: ١١ .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

نشأ أبو القسام بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشابي، بشابية توزر، من الجنوب التونسي.[٢٥] وكان أبوه محمد الشابي قد قفل من مصر مجازًا من الأزهر، حيث درس على الشيخ محمد عبده المشهور.[٢٦] وإنّا لا نعلم متى رجع بالضبط، وإنما كل ما أتيح لنا تحفيقه، هو أن رجع ليتولّى خطة القضاء ببعض جهات البلاد التونسية؛ وأن أول تسمية رسيمة اطلعنا عليها هي تسمية (بسليانة) ولقد صدر له الأمر بتاريخ ١١ ربيع الأول (١٣٢٨) الموافق (٢٢مارس/ آذاء ١٩١٠) أي بعد ولادة أبي القاسم الشابي بسنة تقريبًا. ومن هنا كانت نشأة شاعرنا في ظلّ أبيه، الذي عين قاضيًا بقفصفة في ٢١ رمضان (١٣٢٩هـ) الموافق ١٤ سبتمبر/ أيلول (١٩١١) ومن قفصة ينتقل في ١٥ صفر (١٣٣٢هـ) الموافق (١٢جانفيي/ كانون الثاني (١٩١٤) إلى قابس. ومن قابس ينتقل بتسمية جديدة مؤرّخة في ٢٢ رجب (١٣٣٥هـ) الموافق (١٤مايو/ أيار ١٩١٧) إلى جبال تالة. ثم تأتي تسمية أخرى بتاريخ ١٧ ربيع الأول (١٣٣٧هـ) الموافق (٢١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩١٨) فيرتحل الشيخ القاضي إلى مجاز الباب. ومن المعقول أن جميع العائلة تتبع الأب (القاضي) في تنقلاته هذه (ولا ندري هل الرحلة تسبق بقليل الأمر الرسمي الذي نذكر دائمًا تاريخه، أم الالتحاق بالمركز يقع بعد الاتصال بالتسمية بأيام قلائلا، ويقضي الطفل أبو القاسم كل هذه الرحلات، قسمًا وافرًا من حياته. وإنا نجده في سنة (١٩١٨) قد دخل في العاشرة من عمره. وهو طفل، قد أتفق كل من سمعناه، أو قرأنا له، على أنه كان في أرغد عيش، وفي أطيب حياة.[٢٧] وما ذلك إلاّ لأنه ينشأ في ظل والدٍ لا يغيب عنه ببصره أو ببصيرته، بل يرعاه

---

[٢٥] أنظر المهيدي في (الأفكار) ديسمبر/ كانون الأول ص: ٨٣ والسنوسي في كتابه الشابي حياته وأدبه المطبوع بتونس سنة (١٩٥٦).

[٢٦] أنظر المهيدي في (الأفكار) ديسمبر/ كانون الأول ص: ٨٣ والسنوسي في كتابه الشابي حياته وأدبه المطبوع بتونس سنة (١٩٥٦).

[٢٧] السنوسي: زين العابدين – الأدب التونسي في القرن (١٤هـ) الجزء الأول – تونس (١٩٢٦) ص: ١١.

بشغفٍ من الحب والحنان، والتربية الإنسانية الموجّهة، في طريق الاستقامة، والقيم الروحية الأصيلة وكذا، فإنه وجد في والدته العطف المملوء بالاهتهام الزائد، والملاحظة الكيّسة، والرعاية الدائمة ليل نهار. ومن خلال هذه التنشئة الأبوية، وجد شاعرنا تنشئةً مترعةً بعوامل دفعٍ لقدراته الخبيئة، وانضاجٍ لرؤيته، ولواقع الحياة، وللكون من حوله، وإثراءٍ وتعميقٍ لتجربته الشعورية.[٢٨] وجديرٌ بنا، حين نتحدث عن نشأة أبي القاسم الشابي، أن تذكر ما كتبه أخوه (محمد أمين الشابي)[٢٩] في كتاب (ديوان. أبو القاسم الشابي)[٣٠] وفيه يقول ما نصّه: (هو من أبناء القرن العشرين، الذن نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أيام كان العالم العربي يتعثَر بين حاضره الأليم وماضيه القريب المنقوص؛ ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك الفترة الانتقالية، إنما يلقون جحودًا وأذى لا تزيدهما سيطرة الغرب على الشرق، وشموخه بحضارته، ووثوقه بمصيره، إلاّ احتدامًا وسطوةً لدى فريقٍ واسعٍ من الخاصة والعامة على السواء..... لم ينشأ أبو القاسم بمسقط رأسه، فقد خرجٍ عنه في سنته الأولى ولم يكد يعرفه إلاّ قليلا، أثناء قَدْ مَتَيْن أقام فيهما نحوا من ثلاثة أشهر، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره، والثانية زائرًا. وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في بحرها بالبلاد التونسية طولاً وعرضاً، متنقلة من قابس إلى سليانة فتالة، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فزغوان. وبين هذه المدن من الأميال، ما يقدر بالمئات أحيانًا، وعلى نسبة ذلك اختلاف العادات واللهجات والمشاهد الطبيعية. فلم تكن واحة قابس كبسائط مجاز الباب يغمرها الحصيد، ولا هذه كبساتين رأس الجبل، أو كجبل زغوان يكسوه شجر

---

[٢٨] كرو: أبو القاسم محمد: دراسات عن الشابي. ص: ٤٤.

[٢٩] هو شقيق أبي القاسم. عين أول وزير للتربية القومية إثر الا ستقلال. وهو الآن رئس اللجنة الثقافية القوبية التونسية.

[٣٠] إسماعيل: عز الدين – ديوان. أبي القاسم الشابي. دار العودة – بيروت (١٩٨٨).

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الصنوبر. ولم يكن حرُّ قابس كثلوج تالة، ولا حياة الفلاّحين بمجاز الباب، كحياة صيادي البحر بقابس أو رأس الجبل، ولاطباعُ أهل الشمال كطباع أهل الجنوب.... هذه مراحل نشأة أبي القاسم، عملت على تضخّم تجربته، وتدفّق شاعريته، وازدهار ريشته. بيد أن الشاعر أفاد ما يفيده كلُّ عابر سبيلٍ متيقّظٍ واعٍ، إذا ما استقرّ بأرضٍ كان ربيبها لا ابنها الأصيل. فأطلقه هذا المصير من حدود البيئة الضيّقة وأكسبه (تونسية) إنسانية الآفاق).

٤. صفاته:

لابأس من ذكر صفاته الجسدية، إلى جانب صفاته الروحية والنفسية والخلقية، التي وصفها أقرب الناس إليه التصاقًا: بدءاً بأشقائه، وانتهاءَ بالأدباء والشعراء الذين عاصرهم، وعرفوه عن قربٍ حق المعرفة خَلْقًا وخُلْقًا. ويقول شقيقه محمد أمين الشابي في كتاب (ديوان. أبو القاسم الشابي)[٣١] ما نصّه في وصف أبي القاسم (نحيف الجسم، مديد القامة، قويّ البديهة، سريع الانفعال، حادّ الذهن، تكفكف رقة طبعه من عرب عاطفة وحدة ذهنه. يراه أصدقاؤه بشوشًا، كريمًا، وديعًا، متأنّقًا، طروبًا لمجالس الأدب، يحب الفكاهة الأدبية .[٣٢] ويراه من لم يخالطه حبيبًا محتشمًا، ويعرف منه هؤلاء وأولئك، صراحةً حازمةً قويةً يبديها لخاصّة خلطائه، في غير ما تحرّج، متى اجتمح بهم؛

---

[٣١] الشابي: محمد أمين: ديوان – أبي القاسم الشابي – في باب ترجمة حياة الشاعر. ص: ٥٤٩.

[٣٢] الفورتي عميد: البشير (عميد الصحفيين التونسيين، مجلة العالم الأدبي – عدد ديسمبر/كانون الأولا سنة (١٩٣٤).

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ويجاهربها العموم في شعره ونثره. وكان محبًا لبلاده الوطنية.[٣٣] يؤمن بأن لقادة الفكرٍ رسالةٍ إنسانية سليمة، حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً.

٥. دراسته:

بدأ أبو القاسم حياة التحصيل منذ صباه الباكر، حيث ألحقه أبوه بلكتّاب، لحفظ القرآن الكريم. وفي سنّ التاسعة، كان قد حفظ القرآن كلّه: فقرّت به عين والده. ولعلّه — أي الوالد — قد رغب في أن يوجهه إلى دراسة من نوع دراسته، فتعهده بنفسه على مدى عامين؛ يلقّنه علوم العربية، ومبادىء العلوم الدينية، ويرشده إلى يطالع من الكتب التي كانت تحتويها مكتبته.

وفي مستهل عامه الثانية عشر، قدم شاعرنا إلى تونس، لكي يستأنف دراسته بجامع الزيتونة. وبعد مضي مايقرب من تسع سنوات، حصل أبو القاسم على نفس الإجازة التي حصل عليها أبوه من قبل؛ لكن استعداده كان مخالفًا لأبيه، حيث استأثرت باهتمامه دواوين الشعر العربي، التي أُتيح له أن وتتفتح: فإذابه يكتب الشعر، وهو بعد لم يتمّ عامه الخامس عشر. ومنذ ذلك الوقت، عرف أبو القاسم طريقه وعرف قدره. لقد كان الشعر طريقه، وكان قدره المقدور.[٣٤]

---

[٣٣] أبنه في ذكراه الأربعينية المرحوم الطاهر صفر. أحا قادة الحركة الوطنية الممتازين إذ ذلك، وأحد أعضاء الديوان السياسي للحزب الحر الدسوري التونسي بما لاصة: (بكلم الأستذ صفر نيابة عن قدماء الصادقية عن شاعرنا الفقيد: فأكبر روحه الأدبية ونبوغه الشعري. وأشار إلى الناحية الو طنية، والإحساس الفياض، الذي كان الشاعر يفيض به عن آمال بلاده وآلامهاز

وقد ذكر الخطيب أنه اجتمع مع فقيدنا الشابي في بلدة طبر فة، حينها كان الشاعرفي حال شديدة من الأ لم. وقد دار إذ ذلك الحديث بين الشاعر والزعيم في الوطنية، عما يؤمله الشعب التونسي، من النقدم. ورثى الشاعر لحال الشعب الآن. وقد عبر عن ذلك في قطعة شعرية وطعة شعرية وطنية، نشرته جريدة (العمل) عدد (٢٢). و(العالم الأدبي) في ديسمبر/كانون الأول سنة (١٩٣٤)

(الشابي: أوالقاسم: *ديوان — أبو القاسم الشابي*- ص ٥٦٤-٥٦٥).

[٣٤] الشابي: أبو القاسم: الديون — دراسة وتقديم الدكتور عز الدين إسماعيل. ص: ١١.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

إنّ الشابيّ لم يتعلّم لغة أجْنبية، يستطيع من خلالها أن يطلع على الآداب الغَرْبية، والفكر الغربي؛ بل كانت ثقافته عربية صرفًا. لكن هذه الغرابة تزول، عندما نعرف أن الظروف قد هيأت له، – من خلال الترجمات– أن يطلع على جوانب وآفاق في التجربة الشعرية الغربية، ممثلة في أشعار الرومانتكيين؛ أمثال: لامْرَتين، ودي فيني، وبيرون، وشلي، وأن يتعرف على مفهوم الشعر لدى هؤلاء، من خلال الكتاب العرب الذين كانوا يقودون حركة التجديد الشعري في الربع الأول في هذا القرن.

لقد قرأ ما كتبته مدرسة الديوان في هذا الصدد، وبخاصة ما كتبه القّاد عن مفهوم الشعر، وطبيعة العمل الشعري و وظيفته؛ متعمدًا في هذا كلّه، على أصول أكدّها الشعراء والنقّاد الرومانتيكيون الغربيون من قبل وفي الوقت تفسه، كان الشعراء العرب في المهجر الأمير كي، يؤكدون في أشعارهم، وفي كتاباتهم، نفس الهموم. وكما كان العقّاد بأفكاره أثيرًا لدى شاعرنا، كان حبر ان بشعره أقرب الناس إلى قلبه. وهكذا استعاض الشابي بما طرحه هؤلاء وهؤلاء من مفاهيم عصرية، ومبدعات أدبية، متأثّرة في أصوها بالروما نتيكية الغربية، عن القراءة المباشرة للرومنتيكية، نظريةً وأدبًا.[٣٥]

وحين تذكر هذه الروافد التي رفدت ثقافة شاعرنا بحصيلة طيبة من الأدب الغربي، والفكر الأدبي، ينبغي أن نذكر، بأن الشابي، قد تثقف ثقافة عربية واسعة: وكان فيما يرى فيها من رأي، إنما يصدر عن معرفة كافية بها. ولكنه كذلك، قد ألمّ بأطراف مختلفة من الثقافة الأدبية الغربية، بصورة مباشرة عن طريق الترجمات؛ وبصورة غير مباشرة، عن طريق الكتاب والأدباء العرب، في مصر وفي المهجر، وفي تونس نفسها؛ فهيأ له هذا الاطلاع، رؤية أدبية وفكرية أرحب وأعمق.

---

[٣٥] المرجع نفسه: ص. ١٢

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ولم يلجأ الشابي أمام هذين الطرازين في دراسته، ومن الثقافة، إلى البحث عن صورة جديدة، يتم فيها التكامل والمواءمة بينهما؛ بل كان موقفه الذي اختاره إلى جانب الثقافة العصرية حاسمًا ونمائيًا. وهو بهذ الموقف، لم يكن يواجه في بيئته التونسية التخلّف الفكري والأدبي فحسب، بل كان يواجه النزعة المحافظة في المجتمع في أشكالها وصورها المختلفة. تلك النزعة المتشبثة بالماضي، الواقعة في أسر قوالبه وأطره: والغافلة عن الواقع الراهن: فضلاً عن استشراف المستقبل.[٣٦]

٦. مجالسه:

من خلال ما مر معنا في نشأة الشابي، ومن خلال ما حدثنا به عنه أصدقاؤه والمعجبون به، نميل إلى الاعتقاد، بأنّ شاعرنا كان رجلاً ناضجاً رغم صغرسنه: وأنه قد عرف الحياة وبلاها، وتحدث عنها وهو يعرف ما هي: وخاصةً في أُخريات أيامه المليئة بالتأمّل والفهم والتذوّق. ومن ذلك يبدو لنا، أن الشابي في مجالسه، كان يعبر عن فهمه للحياة فهما نزع فيه منزع العمق، والذهاب مباشرةً إلى اللب والصميم منها، بفضل إحساسه الصادق وروحه النيّرة. وبذلك لم يكن الشابي في حاجة إلى قضاء السنين الطويلة في التجارب والفشل — أحيانا- ليصل في النهاية إلى الإحطة بجوهر المجالس في التجارب والفشل-أحيانًا-ليصل في النهاية إلى الإحاطة بجوهر المجالس في حياته، أوبشيء منه. والمجالس في حياة الشابي، مجالس وجودية؛ وهو نضج من خلالها في حقبة زمنية، تتراوحبين عشرين وخمسةٍ وعشرين عامًا؛ وأدرك أن صميم الحياة يناديه؛ فأصاخ وهو ابن هذا العمر السخيّ القصير إلى الآخرين يسمعهم —وهو يحدثهم- ومن

---

[٣٦] الشابي: أبو القاسم: الديوان — دراسة وتقديم الدكنور عز الدين إسماعيل ص: ١٣

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ثم يحبيبهم بما يزخر به قلبه، من ثروةٍ هائلة تفيض بإيمان مطلق بسنن الحياة وقوانينها. وكان أهل مجلسه، يرون لسانه يلهج بنارٍ متأججة من الشوق إلى الحياة، وحب اعتناقها، وهي في أكرم صورها وأخلص عناصرها المجرّدة من شوائب القشور، ومبتسر التجارب الخائبة. وقد جاهر بعض محدثيه في جلسةٍ مفعمةٍ بالصراحة المتناهية حول ما يعتقد ويعتقدون فقال يخاطبهم (سلكت إلى فهم الحياة، طريق الشعور الملهم الذي يتجاوز الأشكال العقلية، ومنطقها الجامد وهو محمول على أجنحةٍ من النور. أمّا أنتم فسلكتموها تمشون على الأرجال، في طريق المنطق والعقل، المليئة بالحفر والمنعرجات، والحيل البليدة فتضيعون العمر في البحث والنظر، أو تضيعون العقل الذي أسلمتم له القيادة، فلا نكد نصل معه إلى شيءٍ من جوهر الحياة، إلاّ قبل أن نودّع الدنيا بربع ساعة....[٣٧]

ويتكلم عنه الأستذ إبراهيم أبو رقعة في مجالسه فيقول: (وقد حدثني أبو القاسم عن نفسه أن الطور الأول الذي قطعه من حياته الفكرية، هو التنسك والانقطاع إلى العبادة... وأنه يقضي اليوم واليومين لا يخرج من معبده؛ وربما مكث الزمن الطويل بدون طعام أوشراب تعذيبًا للنفس، وكرهًا لهاته الدار. وكنا يؤمل أن يأتيه في وحدته طائفٌ يخبره بالغيب، ويبشره برتبة القطب أوالغوث (لست أدري).

ومن تلك المجالس التي تذكر لأبي القاسم مع أصد قائه والمقرّبين إليه، نقتطف ما يتسع لها مجال الذكر، ونجعلها في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

تلك التي دخل فيها والده جامع الأزهر، وتخرّج منها قاضيًا شرعيًا، يدرسٍ مذاهبٍ المتصوّفة التي حفظها عن كتاب الاحياء للغزالي؛ حيث أثر تأثيرًا خسوسًا في

---

[٣٧] كرو: أبو القاسم محمد – دراسات عن الشابي – ص: ٦٤ .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

نفس أبي القاسم، الذي فتح عينيه على مجلس أبٍ يخاطبه مخاطبة العابد المتنسّك، يبغض الدنيا ولا يحفل بها، ولا تساوي في نظره جناح بعوضة.[٣٨]

والمرحلة الثانية:

هي مرحلة التخفّي عن أعين أبيه، في أدبه وشعره الخارج عن روح المحافظة على القديم. وفي هذه المرحلة تحدّث عنه رفاقه في مجالسهم؛ فذكروا أنهم كانوا يرونه، زقد أثقل جيوبه بالتحارير من أشعار وقصص. وكان بطلعهم على أفكاره ونظرته إلى الحياة. وذكروا أنهم كانوا يزورونه في منزله القائم داخل مدرسة جامع الزيتونة[٣٩] فيطلهم على التحارير والأوراق التي تشغل مكاناً خفيًا من البيت. وكانوا يسألونه عن سبب إخفائها، فيجيبهم بأنّ والده وضع رقيبًا عليه، يمنعه من إضاعة وقت دراسته بنظم الشعر، والاطلاع على أدب الغرب، ولهذا فهو يخفي هذه الأوراق عن الأنظار، خشية وقوف المكلّف بمراقبته في التعليم من طرف والد عليها. إذ كثيرًا ما عثر له على تقييدات أدبية، فأشبعه لوماً وتعنيفاً، وربما رفع الأمر إلى والده، فتأتي رسائله مملوءة بالتهديد والوعيد.[٤٠] وفي هذا المجال يقرل إبراهيم أبو رقعة ما نصّه: (...وقد وجدت وقتئذٍ نثر أبي القاسم أكثر من شعره. ووجدت صدره ضيقًا حرجًا بأدبياته، ليس له قرين يبادله القول، أو يناقشه النظر. ولايوجد حوله إلاّ الرقباء والأعين: حتى إذا رأوا بيده ورقة أدبية مزقوها، أوكتاباً أدبياً أتلفوه. وكانت تلك الساعة التي اجتمعت معه فيها، من أفسح الساعات وأطيبها. وقد سألته لماذ لا تنشر البعض من هذا النثر والشعر بالجرائد السيّارة، والحال أنه بلغ حدّ الكمال، فوحدت الفتى مرتاباً في نضوج

---

[٣٨] كرو: أبو القاسم: محمد دراسات عن الشابي. ص: ٧٤ .

[٣٩] الشابي محمد أمين ديوان: أبو القاسم الثابي. ص: ٥٠٧ .

[٤٠] أبو رقعة: أبر اهيم: حياة أبي القاسم الشابي-دراسات عن الشابي. ص: ٧٣ .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

تحريراته، ويخشى من الفكر العام أن يقابله بالهزء والسخرية، كما أنّه يخشى غضب والده، وغضب المتعهّد برعايته. ولم أخرج من بيته، حتى تسلّمتُ منه قطعةً شعريةً رائعة، وسلمتها إلى السيد حسين الجزيري، صاحب جريدة التدمم؛ وقد حان وقتئذٍ بروز عدده الممتاز، فنشرهات تحت عنوان شاعر الوجدان أبو القاسم الشابي، فكان شكرًا وثناءً وتنشيطًا من عموم الأدباء، ولوم وتعنيف ممن تعلمون.[٤١]

والمرحلة الثالثة

هي مرحلة نضوج مجالسه، بعد اطلاعه على قصائد شعراء الحداثه، ومنهم جبران خليل جبران، وغيره من كُتّابِ المهْجَر، ووجد في نفسه راحةً إلى نثرهم وشعرهم لأن شعر ونثر هؤلاء عليه المسحة الصوفية، وذلك لبعده عن الماديات وتعلّقه بسر الوجود والحياة. وأصبح أبو القاسم ينطق في مجالسه باللسان الذي ينطق به جبران، وعنون كتائبه وأشعاره بمثل العناوين التي عنون بها جبران كتائبه وأشعاره.

طَوْرُ أبي القاسم الثالث من مجالسه الفكرية في شعره، هوطور النضوج والاستقلال في الرأي والتفكير، والاختراع في الأدب والابتكار. وكان يحدث جلساءه عمّا طالعه من آلاف مجلدات كتب الأقدمين، وكل ما وصلت إليه يده من كتب المتأخرين وقد زادت شهرة أبي القاسم، في المرحلة الثالثة من مجالسه، حين سامر بالخلدونية بطلبٍ من النادي الأدبي بتونس؛ مسامرته الشهيرة التي سماها (الخيال الشعري عند العرب) فقد كان لها دويٌ في الأوساط الأدبية.

---

[٤١] يقصد بكلمة: ممن تعلمون: الرقباء عليه. وهم: أبوه. ومن وضعهم رقباء عليه في المدرسة.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وفي إحدى جلساته بين أدباء وشعراء عصره. صرّح لجلسائه قوله - الذي لخّصع في رسالةٍ بعثها لصديقه محمد الحليوي.[٤٢] بأنه في بيئته الثقافية، يشعر شعورًا عميقًا بالضياع، بين جامدين، قد احتلوا مكانًا في الأهب (يجب أت يحتله الأحياء الذين يعرفون كيف ينفخون في الشعب روح الحياة؛ والذين يعرفون كيف يعلمونه محبة الحق والقوة الجمال).[٤٣] ويذكر عنه من اختلف إلى مجالسه، أنه يتكلم إلى محدثه بعينين تنظران إلى الوجود نظرة الناقم الهازىء الساخر من الحياة[٤٤] وكان يشعر بالغربة، لأنه لاحظ أن بيئته الثقافية التقليدية، مختلفة- زَمَنَئِذٍ- عن التيارات الفكرية والأدبية التجديدية في المشرق خصوصًا، وفي العالم عمومًا. وفي واحدة من جلسات الأدب العامرة، نادى به رفاقه المخلصون زعيمًا للحركة الأدبية الجديدة في بلاده. بيد أن دعاة التقليد، تصدّواله، ورفضوا بيانه الأدبي الذي جهر به سنة (١٩٢٩) في مسامرته (الخيال الشعري عند العرب). وكان الزعيم السياسي محمد محيي الدين القليْبِي، أحد الناطقين بلسانهم. وفي تلك الجلسة التفت الشاعر حول يبحث عن أدباء، تتدفق في دنائهم عزمات الفتوه، ونخوة الشباب ونشوة الأحلام؛ فوجد قلةً قليلةً معجبةً بعبقريته، معترفة بريادته الأدبية في تونس، مؤمنة مثله بوجوب خلق الأدب التونسي الجدير بالخلود. وكان محمد الحليوي أحد أولئك الأنصار — الذي كان يجالسه في رسائلة الدائمة- فكتب إلى أبي القاسم يوم ٢٢ ففريي/ شباط (١٩٣٠) اعترافًا بزعامته هذا نصه: (لا شك أنك ستتولى زعامة التجديد الأدبي في تونس، ونكون نحن تحت

---

[٤٢] يقول الشابي لمحمد الحليوي: (رأيت كلمتك عن (العالم) وأنا ماكنت أتوقع منها غير ذلك فقد كنت أعلم أن رئيس تحريره (يعني بره (بعني رين العابدين السنوسي) ليس سوى ألة يديرها محي الدين و...ممن لف هذين من تلك الطائفة المرذولة) (الثابي: أبو القسم- رسائل الشابي. ص: ٨٦).

[٤٣] أبو شادي: أحمد زكي: - جماعة أبوبلو وأثرها في الشعر الحديث. ص: ٤١٤-٤١٦ .

[٤٤] الفورتي: البشير: أبو القاسم كما يجب أن يقال عنه في حيله وبعدموته-دراسات عن الشابي — ص: ٧٩ .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

لوائك[٤٥] تلك هي بعض مجالس أبي القاسم، التي اعترف معاصروه بأهميتها، وقالوا عنه فيها: (غير أن امجددين قصروا عن: بلوغ مستوى المسؤولية الأدبية الجديدة التى تحملها الشابي).[٤٦]

٧.زواجه:

نرى أننا — الآن — في مواجهة مشكلة، من أهم المشاكل التي تتعرض لكلّ من أراد درس حياة الشابي، وهي مشكلة زواجه. رهذه المشكلة عويصة جدًا: لأن الأخبار حولها مضطربة متناقضة، ولأن البحث العلمي يوقفه الحياء وقرب العهد.[٤٧] إن الإحباريين يسكتون، أو يطيلون الحديث عن يقين وعن غير ما يقين؛ ويذكرون بأن الشابي قد تزوج عن كره (إرضاءً لوالديه وذويه؛ ورغبةً في تكوين عائلة حسب العرف السائد بالجنوب التونسى.[٤٨] وقد زعم بعضهم، أنه لم يكن سعيدًا في حياته الزوجية. وهذا فريق آخر (من بينهم أخواه السيدان: محمد الأمين، وعبد الحميد الشابي) يبتسم عند كل هذا، ويذكر في ارتياح وثقة. أنه تزوج بعد موت أبيه سنة (١٩٣٠) وأن ابنه الأكبر ولد يوم ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٣١) ولعل الحق مع هؤلاء وهؤلاء: إذ كلنا نعلم بتونس، ان الزواج الشرعي يبتدىء عند (الكتابة)[٤٩] ويتم عند الدخول.[٥٠]

فلعل الكتابة وقعت حوالي سنة (١٩٢٨) والدخول سنة (١٩٣٠) وهكذا يعتبر الشابي متزوجًا في نظر الشرع منذ سنة (١٩٢٨) هذا الرأي، الواقع التونسي في

---

[٤٥] الشابي: أبو القاسم: رسائل الشابي. ص:٦٣.

[٤٦] المصدر نفسه. ص: ٤٢ .

[٤٧] غديرة: عامر – محاولة جعل إطار لترجمة الشابي–درسات عن الشابي — ص: ٤٨.

[٤٨] انظر (مجلة الأفكار): عدد: نزفمبر/ نشرين الثاني. ص: ٢٠ .

[٤٩] أي عقد القران بواسطة قاضي الشرع، أوفي المحكمة الشرعية.

[٥٠] أي ليلة جخول الزوج على زوجه.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

أيام الحماية؛ وكذلك ما نجده من تناقض ظاهرفي كتاب السنوسي، إذ هو يجعله مُتَزَوِّجًا سنة (١٩٢٨)؛ ثم يجعله في فيفريي/ شباط (١٩٣٠) يتكلم عن (أخي الخطيبة) في سهرة بالمدرسة السليمانية[٥١] ويقول عبد الله شريط في هذا الصدد: إن أهله قد حرصوا، على أن تكون له زوجة وأولاد، كما هي عادة الآباء والأُمَّهات: أي أن يقبل على الانتحار[٥٢] لكي يترك في المجموعة البشرية، أعقاباً من لحم ودم، ولو أدى ذلك، إلى أن تحرم هذه البشرية[٥٣] من أعقاب الشابي الشعرية، التي كانت ستكون هائلةً حقًا، لو أمهله الموت مدة كافية. هذا قليلٌ من كثير ممّا قيل في زواج الشابي، الذي شغل الدارسين والباحثين، والذي اكتفينا منه، بذكر ما يناسب هذه الدراسة[٥٤] .

٨.مرضه:

لقد وقع أبو القاسم الشابي، في المدة الزمنية الواقعة بين سنة (١٩٢٨) وسنة (١٩٣٠) فريسة مرض خطير، ربطها كثير من الأدباء بالمشكلة السابقة التى عالجناها- وهي مشكلة الزواج — ووقفوا عندها، يعللون ويحللون ويتأوّلون. غير أنّ البحث العلمي، سيمكننا في هذه المرّة، من البت في القضية، بالقول الفصل كما سنراه[٥٥]

نحن نعلم أنه مصابٌ بشكو علته في أثناء كل ذلك، ويختلف إلى الأطباء. ونحن نعلم — أيضاً — أنه قد انتهى من دراساته الزيتونية والحقوقية، ولم يحاول الارتزاق

---

[٥١] السنوسي: زين العابدين — أبو القاسم الشابي- ص ١٥-١٨-١٩ .

[٥٢] بقول الانتحار: بسبب مرض القلب الذي كان يلازمه، والذي يؤدي الزواج معه إلى الهلاك.

[٥٣] شريط: عبد الله: الشابي وهذه الحيات — جراسات عن الشابي — ص: ٥٩.

[٥٤] كانت زوجته لا تزال على قيد الحياة سنة (١٩٨٨) أي سنة طبع ديوانه، وذكر أخيه محمد الأمين الشابي تاريخ حياته في أخر الديوان الذي أخذنا عنه معلومات عن أسرته. وقد أنجب الشابي منها ولدين، أولهما:محمد، سمي باسم والد الشابي وهو ضابط في الجيش التونيس. ولثاني (جلال) وهو موظف (الشابي. وهو ضابط في الجيش التونسي. والثاني (جلال) وهو موظف (الشابي: محمد أمين —الديوان — ص: ٥٦١).

[٥٥] كرو: أبو القاسم محمد: *دراسات عن الشابي*. ص:٤٩.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

بشهادته. ثم انا نعلم أنه يكتب كثيرًا في سنة (١٩٣٠) وسنة (١٩٣١)؛ وانه يستقر بالشابية ويقضي صيف (١٩٣٢) مع أخيه الصغير (محمد الأمين) في بلدة (عين دراهم) ثم يعود إلى (توزر) ويرتحل في صيف (١٩٣٣) إلى (المشروحة) من أرض الجزائر، ثم يذهب إلى تونس، ويلتحق منها بمسقط رأسه. وفي هذه المدة التي ينتابها المرض مدًا وجزرًا، ويشكو فيها علته سرءًا ومهادنةً، يشرع – وهو متعب – في جمع ديوانه[٥٦]

وعند ما أطل الشتاء، قدم الشابي إلى (توزر) ومكث فيها مستريحًا هدئًا. وفي شهر رمضان (١٣٥٢هب)الموافق شهر ديسمبر كانون الأول، سنة (١٩٣٣) وتحديدًا في أوائل شهر كانرن الثاني سنة (١٩٣٤) عاوده المرض بهيئة ألمٍ أقوى وأشدّ من ذي قبل؛ فرأة لزامًا عليه أن يأوي إلى فراشه كي يمرّ الشتاء بسلام؛ وهكذا كان. وحين أطل الربيع كان شاعرنا يشدّ رحاله، في سفرٍ إلى (الحامة) ساعيًا كل جهده للوقوف على سبب دائه وتطوّر علته.

وفي أثناء ذلك يظهر – بصفة غير واضحة إلى الآن – بمدينة (طبرقة) فيتحدث إلى الزعيم السياسي (صفر) ويكتب قصيدته المشهورة: (إذا الشعب يومًا أراد الحياة...) ومن (توزر) يأتي إلى تونس يوم: ٢٦ أوت/ آب (١٩٣٤) وينزل ببعض فنادق العاصمة الذي مكث فيه حتى شهر سبتمبر/ أيلول، ثم ينتقل منه إلى ضاحية (أريانة) (وفي الحقيقة نحده في تلك الصائفة مصوّرًا بـ (حمام الأنف) مع السيدين مازيغ والسنوسي)[٥٧] والمرض ملازمٌ له، وهو يسعى جاهدًا لتخفيف وطأته عليه.

---

[٥٦] رسالة إلى صديقة الحليوي. نشرت في مجلة الفكر، سنة: (١٩٥٦).

[٥٧] كرو: أبو القاسم محمد: دراسات عن الثابي. ص: ٥٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٩. وفاته:

لقد تركنا أبا القاسم الشابي بقرب أصدقائه- في حديثنا عن مرضه- يداوي علته، ويسعى بمساعدتهم للخروج من الآلام الشديدة التي تثقل عليه حياته. ولقد تركناه- كما ذكرنا سابقا- بـ (حمام الأنف) مع السيدين زين العابدين السنوسي، ومازيغ. ولنترك الحديث لعامر غديرة، الذي بكشف علة وفاته بما نصّه (يمر شهر سبتمر/ أيلول[٥٨] وتتتابع الأيام، والناس يتساءلون عن علته[٥٩] أداء السلّ أم مرض القلب؟ ونحن كما ذكرنا سابقًا رأينا- لنحقق بصفة واضحة علمية علة أبي القاسم وظروف وفاته- أن نذهب الى المسنشفى الذي ذكر لنا أنه مات به؟ وأن نفتش عن ملفّه, إن كان له ملف. وقصدنا "مستشفى الحبيب تامر" فإذا نصٌ بالأيطالية (كان المستشفى في العهد يسمى "مستشفى الطليان") يخص الشابي وهذا تعريبه:

أبو القاسم الشابي تحت عدد ٢٥٦٧.

العمر: ٢٦ سنة (ذلك أنه يحسب حسابًا هجريًا: من ١٣٣٧ إلى ١٣٥٣).

الدين: الإسلام

الحالة: متزوج

المسكن: أريانة.

تاريخ الدخول إلى المستشفى: ٣ أكتو بر/آب (١٩٣٤)

الفحص الطبي: مرض القلب.

تاريخ الوفاة: ٩ أكتوبر/آب (١٩١٤)[٦٠]

---

[٥٨] يقصد شهر (أيلول سنة (١٩٣٤).

[٥٩] علته: أي علة المرض الذي أصيب به أبو القاسم الشابي.

[٦٠] عن مجلة "الفكل" التونسية-السنة الخامسة-العددالثالث-ديسمبر/كانون الأول سنة (١٩٢٩)ص: ١٨-٢٥ .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ويجدر بنا أن نضيف إلى ما قدّمناه ماذكره شقيقه "محمد الأمين الشابي" عن وفاته في كتاب "الديوان"[٦١] , والذي جاء بالنص التالي: "وفي السنة نفسها"[٦٢] أصيب بداء تضخم القلب, وهو في الثانية والعشرين من عمره. بيد أنه رغم نهي الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري, وواصل إنتاجه نثرًا وشعرًا. وقد نشرت له سنة ١٩٣٣ بمجلة "أوبولو" المصرية, قصائد عملت على التعريف به في الأوساط الأدبية بالشرة بالشرق العربي، وإلى أبي القاسم, أوكل صديقه الدكتور أحمد زكي أبوشادي تصدير ديوانه "الينبوع"

"لم يكن الشاعر المريض يغنادر (توزو) إلافي الصيف؛ ويقصد المصطافات الجبلية كعين دارهم بالشمال التونسي سنة (١٩٣٢) والمشروحة ببلاد الجزائر سنة (١٩٣٣) وشرع أثناء مصيف سنة (١٩٣٤) في جمع ديوانه "أغاني الحياة" بنية طبعه بمصر[٦٣] فانتسخه بنفسه بـ "جامة الجريد" مستعينًا ببعض أدبائها؛ لكن باغتته المنية, وحالت دون مانوى. فقد انتابه المرض بغايه الشدة, وقصد "تونس" يوم ٢٦ من أغسطس/آب سنة (١٩٣٤). توفي سحرًا[٦٤] يوم ٩ أكتوبر/تشرين الأول سنة (١٩٣٤) ثم نقل جثمانه إلى بلده (الشابية) قرب "توزر" حيث قبره. ثم نقل إلى توزر أمام دار الثقافة بين النخيل"[٦٥].

١٠. آثاره:

---

[٦١] أي سنة (١٩٢٩) وهي السنة التى تكب فيها أبو القاسم بوفاة والده.

[٦٢] أي سنة (١٩٢٩) وهي السنة التى تكب فيها أبو القاسم بوفاة والده.

[٦٣] حيث تطوع الأستاذ أحمد زكي ابو شادي للإشراف على طبعه.

[٦٤] بالمستشفى الإبطالي "القديم" بحي "موتفاوري" ويسمى الآن مستشفى الحبيب تامر.

[٦٥] الشابي: محمد الأمين. الديوان: ٢٦٣-٥٦٤ .

KEMENTERIAN AGAMA PERPUSTAKAAN IAIN SUNAN AMPEL SURABAYA

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

رغم السن الصغيرة اقصيرة العمر, التي عاشها أبو القاسم الشابي, فقد تسنّى له بجهده العلمي, وذكائه, وإرادته على التحصيل منذ نعومة أظفاره، أن يغني المكتبة العربية بمؤلفاتٍ يمكن تلخيصها بما يلي:

١- أغاني الحياة: وهو مجموع شعره. طبع لأول مرة في القاهرة سنة (١٩٥٥) ثم بتونس سنة (١٩٦٦). وطبعة أخرى بتونس سنة (١٩٧٠) وطبع أيضًا في بيروت سنة (١٩٧٢).

٢- الخيال الشعري عند العرب: وهي محاضرة ألقاها الشاعر وطبعها بتونس, سنة (١٩٢٩) ثم أعيد طبعها في تونس (١٩٦١).

٣- مذكرات الشابي: وهي يوميات كتبها لمدو شهر ونيّف سنة (١٩٣٠) ونشرت بتونس سنة (١٩٦٦).

٤- رسائل الشابي : وهي مجموعة من الرسائل بعث بها إلى صديقه محمد الحليوي...وله رسائل أخرى مع أصدقاء آخرين من تونس وسوريا ومصر وتضم هذه المجموعة (٣٤) رسالة للشابي و (٤٠) رسالة للحليوي و (٢٠) رسالة لصديقها محمد البشروس. ونشرت الرسائل بتقديم أبي القاسم محمد كرو-طبع تونس (١٩٦٠)[٦٦].

---

[٦٦] كرو أبو القاسم محمد: *دراسات عن الشابي*: ص: ١٦٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الفصل الثاني

شعر أبي القاسم الشابي و أغراضه

ليست العمليّة الشعرية عند الشابي عمليّة فنية مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة من الوسائل التي يمكن أن تساهم في إيصال مبادئه الثورية إلى مجمعة، فهو يريد لأمنة أن تهبّ بالحياة وبجمالها من أجل ترغيب الآخرين في أن يتوجّهوا إلى ذواتها أوّلاً فيحصلون من أنفسهم، ثم يتأمّلون الطبيعة اتي يلف أنظارهم إلى جمالاتها، ليدركوا أهمية الحياة وبالتالي أهمية الحرّية. وبالمقدار الذي يتحرّق فيه الشاعر ويتألم من أجل الآخرين، رأينا أن الاستجابة لدعوات لم تكن بالحجم الذي أراده، من هنا كانت ردود الفعل عنده عنيفة أحياناً فينهال على الخاملين والكسالى بالتقريع، و ينصريف عنهم متوجها لى الطبيعة بكليته، متأثرا بالرومنطيقيين، لعله يجد راحة لنفسه المتمرِّدة، ففي الغاب الذي توجه إليه، عودة إلى الفطرة، وعالم الغابالمفهم الرومنطيقي عالم خيالي عاطفي، والحديث عنه يدل على إحساس الشاعر بالغربة، وهو بين أهله وقومه، هذا الإحساس يتطور مع مرور الزمن إلى ملل ويأس واشمئزاز من الذي يتمسكون بأعراف بالية لا يُقرّها عقل ولا تتوافق مع الدين. إذاً، جعل الشابي من الشعر منطلقاً ليعبّر عن ذاته وما يعتلج فيها من هموم، سواء ما يدور منها حول هذه الذات، أو ما يتعلق بالآخرين.

أما طريقته في النظم، فإنها تقوم على أسس و منطلقات، تراعي بمجملها أمرين هما:عمق المعاني، و سهولة الألفاظ. فامعاني ترتبط بالإنسان وبالحياة، وبالشعور. والألفاظ سهلة، ليّنة، فيها قوة وقدرة على حمل المعاني المختلفة بحيث تأتي مُشعَّة، تتداخل من خلالها المحسوسات، مما يقرِّب العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، وقد أشبَه في ذلك جبران خليل جبران. وكما اهتم باللفظة المفردة وبالمعنى

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

العميق، فقد جاء بأوزان شعرية وشيقة تتلاءم مع الإيقاعات الموسيقية التي توخّى الشاعر أن يقدم معانية عبرها، وهي موسيقى انسيابية تدغدغ مشاعر الإنسان الفرد، فتنطربه حيناً، وتثيره حيناً آخر فتلهب أحاسيسه، أو أنه يحس بالانفلات والتحلل من كل قيد! لذلك، نجد أنه يكثر من استعمال بحر الرمل، والمتقارب، ومجزوء الكامل، والمنسرح والخفيف، وكلها أوزان تخدم أغراضه الشاعر وتتلاءم مع طبيعة شعره، في التعبير عن موضوعاته التي أشرنا إليها.

أما معانيه و أغراضه فتشمل على نواحى الحياة المختلفة:

الموت الحياة اليأس والامل، الجموم والتعدّم، الظلم والعدل، الفقر و الغنى، الكره والحب، والعدم والوجود، الجهل والعلم فضل عن كلّ ما يتعلّق بالحياة الإنسانية و مشكلاتها و تعقيداتها. و على العموم فإنها شعره يتروّح بين الحديث والقدم و بين النقمة والتسليم، النقمة على الموروث البال والتسليم اللأمر الواقع. إنّ للشابي اثار من أعماله منها:

- ديوان (أغاني الحياة) جمعة الشابي وأتّمة مع طبعة أحمد زكى أبو شاذي.
- الهجرة النبويّة التي نشرتها مجلّة العالم في التونس.
- صفحات دامية وهي قضة خيالية لحياته الثائرة.
- كتاب (رسالة الشابي) هو رسائل يبادلها الشاعر مع كثير من أدباء مصر وتونس وسوريا.
- كتاب (يوميّات الشابي) وهو مجموعة من المذكّرات اليوميّة.
- رواية (المقبرة) هي نوع من الاعترافات.
- كتاب (جميلة بشينة) هي قصّة رائعة كتبها ريّة البدعيّة.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

❖ كتاب (شعراء المغرب الأقصى) محاضرة تناول فيها كتاب الأدب العربي في المعرب الأقصى محمد بن العبّاس القبّاج.

❖ مسرحية (السّكير) ذات فصلين من نوع الاعرافات.

❖ كتاب (الهجرة المحمّديّة) هو محاضرة القاها في نادي الطلاب بمنا سبة الهجرة المحمديّة عام ١٣٥١ هـ [٦٧].

من البيان المذكور في الفصل الثاني من الباب التي تبحث الباحثة عن ترجمة أبي القاسم الشابي تستطيع الباحثة أن تستنبط أن شعر أبي القاسم الشابي هو وسيلة من الوسائل التي يمكن أن تساهم في ايصال مبادئه الثورية إلى مجحعه. وأغراضه شعره تحتوى على الحياة المختلفة من الحياة الإنسانية ومشكلاتها و تعقيداتها.

إرادة الحياة:

١) إذا الشَّعب يَوماً أرادَ الحياةَ فلابُدَّ أنْ يَستَجيبَ القَدر

٢) ولاَ بُدَّ لِلَّيل أنْ يَنجَلي ولا بُدَّ لِلقَيدِ أن يَنكَسِر

٣) و مَن لم يُعانِقهُ شَوقُ الحياة تَبَخَّرَ في جَوِّها، واندَثَر

٤) فَويلٌ لِمَن لم تَشُقهُ الحياة من صَفعَةِ العَدَمِ المنتَصِر

٥) كذلك قالت لِيَ الكائِنات وَحَدَّثَني رُوحُها المستَتِر

٦) و دَمدَمَتِ الرِّيح بينَ الفِجاج و فَوق الجِبال و تحت الشّجَر

٧) إذا ما طَمَحَت إلى غايَةٍ رَكِبتُ المنى، و نَسيتُ الحَذَر

٨) و لم أتَجَنَّبْ وُعُورَ الشِّعاب و لا كُبَّتَ الَّهَبِ المستَعِر

٩) و مَن لا يُحِبُّ صُعُودَ الجِبال يَعِش أبَدَ الدَّهرِ بين الحُفَر

---

[٦٧] أحمد قبش، تاريخ الشعر العربي احيث (بيروت: دار لجية) ص: ٥٦٥-٥٦٧

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

١٠) فَعَجَّتْ بِقَلبي دماءُ الشَّبابِ وضَجَّت بِصَدرِى رِياح أُخَر

١١) وأَطْرَقتُ، أصْغى لِقَصْفي الرُّعودِ وَعَزْفِ الرِّياحِ، وَوَقعِ المطَر

١٢) و قالت لِيَ الأرضُ-لَمّا سَأَلْتُ أيا أُمُّ هل تَكرَهينَ البَشَر

١٣) أُبارِكُ في الناس أهلَ الطُّموح ومَن يَستَلِذ ركوبَ الخَطَر

١٤) وأَلْعَنُ مَن لا يُماشِى الزَّمان، ويَقنَعُ بِالعَيشِ عَيشِ الحَجَر

١٥) هو الكَونُ حَيٌّ، يُحِبُّ الحياةَ وَيَحْتَقِرُ الميتَ، مَهما كَبُر

١٦) فَلا الأُفُقُ يَحْضِنُ مَيتَ الطُّيور، ولا النَّحلُ يَلثِمُ مَيتَ الزَّهَر

١٧) ولَوْلاَ أُمومَةِ قَلْبي الرَّؤُومُ لَما ضَمَّتِ الميتَ تِلك الحُفَر

١٨) فَوَيلٌ لِمَن لم تَشُقْهُ الحَياة مِن لَعنَةِ العَدَمِ المنتَصِر

١٩) وَفي لَيلَةٍ مِن لَيالي الخَريفِ المثقَّلةِ بِالاسَى والضَّجَر

٢٠) سَكَرتُ بِها مِن ضِياءِ النُّجُوم وغَنَّيتُ لِلْحُزنِ حَتَّى سَكِر

٢١) سَأَلتُ الدُّجَى: هَل تُعيدُ الحياة لِما أَذْبَلَتهُ ربيعَ العُمُر

٢٢) فَلَمْ تَتَكَلَّمُ شِفاهُ الظَّلام و لم تَتَرَنَّمْ عَذارى السَّحَر

٢٣) و قال لِي الغَابُ في رِقَّةٍ مُحَبَّبَةٍ مِثلَ خَفقِ الوَتَر

٢٤) و يَجِيءُ الشِّتاءُ، شِتاءُ الضَّبابِ شِتاءُ الثُّلوجِ، شِتاءُ المطَر

٢٥) فَيَنْطَفِيءُ السحرُ، سِحرُ الغُصون، وسِحرُ الزُّهورِ، وسِحر الثَّمَر

٢٦) و سِحرُ السَّماءِ الشَّجِيُّ الوَديعُ، و سِحرُ المروجِ، الشَّهِيُّ العَطِر

٢٧) وتهتوِى الغُصونُ، وأوراقُها، وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نَضِر

٢٨) وتلهو بها الرّيح في كلِّ وادٍ، ويدفنها السّيلُ، أنَّى عَبَر

٢٩) ويفنى الجميعُ كحلمٍ بديعٍ، تألّق في مُهجةٍ واندَثَر

٣٠) وتبقَى البُذورُ، التي حُمِّلَتْ ذخيرةَ عُمرٍ جميلٍ، غَبَر

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٣١) وذكرى فصولٍ، ورؤيا حَياةٍ وأشباحَ دنيا، تلاشتْ زُمَر

٣٢) مِعانِقَةً-وَهي تحت الضَّبابِ و تحت الثُّلُوجِ، و تحت المدَر

٣٣) لِطَيفُ الحَياة الذي لا يُملُّ، وَقَلْبِ الرَّبيعِ الشَّذىِّ الخَضِر

٣٤) وحالِمَةً بِأغاني الطُّيور، وَعِطْرِ الزُّهور، وَطَعمِ الثَّمَر

٣٥) ويَمشِي الزّمان، فتَنمُو صُرُوف، وَتَذْوِى صُروفٌ، وَتَحْيا أُخَرْ

٣٦) وَتُصبِحُ أحلامُها يَقضَةً، مُوَشَّحَةً بِغُموضِ السّحر

٣٧) تُسائِلُ: أَينَ ضَبابُ الصَّباح؟ وَسِحرُ المساء؟ وَضوءُ القَمَر؟

٣٨) وأسرابُ ذاكَ الفَراشِ الأنيق؟ ونَحلُ يغنّى، وغيمٌ يَمُر؟

٣٩) وأَينَ الأَشُعَّةُ والكائِنَاتُ؟ وَأَينَ الحَياةُ التي أنتَظِر؟

٤٠) ظَمِئتُ إلى النُّور، وَفَوقَ الغُصُون! ظَمِئتُ إلى الظِّلِّ تحت الشَّجَر

٤١) ظَمِئتُ إلى النَّبعِ، بين المرُوجِ، يغنِّى، ويَرقصُ فَوقَ الزَّهَر

٤٢) ظَمِئتُ إلى نَغَماتِ الطُّيور، وَهَمْسِ النَّسيم، وَلَحْنِ المطَر

٤٣) ظَمِئتُ إلى الكَونِ! أينَ الوُجُودُ وَأَنَّى أَرَى العالَمَ المنتَظَر؟

٤٤) هُوَ الكَونُ، خَلْفَ سُباتِ الجُمودُ، وَفِي أُفُقِ اليَقَظاتِ الكُبَر

٤٥) و ما هُوَ إلاَّ كَخَفْقِ الجَناح حَتَّى نَما شَوقُها وانتَصَر

٤٦) فَصَدَّعَتِ الأَرض مِن فَوقِها وَأَبصَرَتِ الكَونَ العَذْبَ الصُّوَر

٤٧) وَجاءَ الرَّبيعُ، بِأنغامِهِ، وَأَحلاَمِهِ، وَصَباهُ العَطِر

٤٨) وقبَّلها قُبَلاً في الشِّفاه، تُعيدُ الشَّبابَ الذي قد غَبَر

٤٩) وَقالَ لَها: قَد مُنِحْتِ الحَياة، وَخُلِّدْتِ في نَسْلِكِ المدَّخَر

٥٠) وَبارَكَكِ النُّورُ، فاسْتَقْبَلِى شَبابَ الحَياةِ وَخَصْبَ العُمور

٥١) وَمن تَعْبُدَ النُّورَ أحلامُهُ يُبارِكُهُ النُّور أَنَّى ظَهَر

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٥٢) إلَيكِ الفَضَاءَ، إلَيكِ الضِّياء إلَيكَ الثَّرَى، الحالمَ، المزدَهر!

٥٣) إلَيكَ الجَمالَ الذي لاَيَبيدُ! إلَيكَ الوُجُود، الرَّحيبُ، النَّضِر

٥٤) فَميدي-كَما شِئْتِ-فَوقَ الحُقولِ، بِحُلوِ الثَّمارِ وَغَضِّ الزَّهَر

٥٥) وَناجِى النَّسيمَ، وَناجِى الغُيُومَ، وَناجِى النُّجُومَ، وَناجِى القَمَر

٥٦) وَناجِى الحَياة وأَشْواقَها وَفِتْنَةَ هَذا الوُجُود الأَغَر

٥٧) وشفَّ الدُّجَى عن جمالٍ عميقٍ، يُشِبُّ الخيالَ، ويُذكي الفِكَر

٥٨) ومُدَّ على الكونِ سِحرٌ غريبٌ، يصرّفُهُ ساحرٌ مقتدِر

٥٩) وضاءَت شموعُ النُّجومِ الوِضاءِ، وضاعَ البَخُورُ، بَخورُ الزّهَر

٦٠) ورَفْرَفَ روحٌ، غريبُ الجمال بأجنحةٍ من ضياءِ القَمَر

٦١) وَرَنَّ نشيدُ الحياةِ المقدّسُ في هيكلٍ، حالِمٍ، قد سُحِر

٦٢) وَأُعْلِن في الكَون: أنَّ الطُّموحَ لهيبُ الحَياة، وَرُوحُ الظَّفَرْ

٦٣) إذا طَمَحَت لِلحَياةِ النُّفوسُ فَلاَ بُدَّ أن يَستَجيبَ القَدَر!

الحياة خيار. هذا خيار تحت أيدنا، ولكن في حقيقة قد تحيّرنا في ما نختار. نريد أن نجعل خيارتنا خيرٌ عندنا. المرء الذي فهم بأنّ الحياة مرّة واحدة سيجعل حياته خيرٌ. لا يريد أن يضيّء كلَّ الفرصة، و يحدر في كلّ خيارت الحياة. و لا ينبذ أوقاته في ما لا يُفيد. والحياة ليسَت خطًّنا، و لا نعرف متى نموت مشينا فقط، ولانتعدَّ في فعل ما نَهاه الدين.

الشعر يشرح عن حُلوٌ إرادة الحياة، و هذه مهمّ جدا لمن اراد ان يجاهد حياته. الحياة هي امانة الله ولا بدّ ان يجاهد شديداً لنيل الدرجة العلي، لأن الحياة لا ينفع بدون الجهاد. فجميل الحياة نبت من النفس، يجب علينا أن نشكر بما نلنا الآن. والحياة جميلة إذا كنّا فريحاً فيها.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id